تفسير ابن كثير

يقول تعالى { وهو الذي جعلكم خلائف الأرض } أي جعلكم تعمرونها جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن وخلفا بعد سلف قاله ابن زيد وغيره كقوله تعالى { ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون } وكقوله تعالى { ويجعلكم خلفاء الأرض } وقوله { إني جاعل في الأرض خليفة } وقوله { عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون } وقوله { ورفع بعضكم فوق بعض درجات } أي فاوت بينكم في الأرزاق والأخلاق والمحاسن والمساوىء والمناظر والأشكال والألوان وله الحكمة في ذلك كقوله تعالى { نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا } وقوله { انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا } .

وقوله تعالى { ليبلوكم في ما آتاكم } أي ليختبركم في الذي أنعم به عليكم وامتحنكم به ليختبر الغني في غناه ويسأله عن شكره والفقير في فقره ويسأله عن صبره وفي صحيح مسلم من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري Bه قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم [إن الدنيا حلوة خضرة وإن ا مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء] وقوله تعالى { إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم } ترهيب وترغيب أن حسابه وعقابه سريع فيمن عصاه وخالف رسله { وإنه لغفور رحيم } لمن والاه واتبع رسله فيما جاؤوا به من خبر وطلب وقال محمد بن إسحاق : ليرحم العباد على ما فيهم رواه ابن أبي حاتم وكثيرا ما يقرن ا تعالى في القرآن بين هاتين الصفتين كقوله { وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب } وقوله { نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الأليم } إلى غير ذلك من الايات المشتملة على الترغيب والترهيب فتارة يدعو عباده إليه بالرغبة وصفة الجنة والترغيب فيما لديه وتارة يدعوهم إليه بالرهبة وذكر النار وأنكالها وعذابها والقيامة وأهوالها وتارة بهما لينجع في كل بحسبه جعلنا ا ممن أطاعوا فيما أمر وترك ما عنه نهى وزجر وصدقه فيما أخبر إنه قريب مجيب سميع الدعاء جواد كريم وهاب .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن حدثنا زهير عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعا أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال [لو يعلم المؤمن ما عند ا من العقوبة ما طمع بجنته أحد ولو يعلم الكافر ما عند ا من الرحمة ما قنط أحد من الجنة خلق ا مائة رحمة فوضع واحدة بين خلقه يتراحمون بها وعند ا تسعة وتسعون] ورواه الترمذي عن قتيبة عن عبد العزيز الدراوردي عن العلاء به وقال : حسن ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى وقتيبة

وعلي بن حجر ثلاثتهم عن إسماعيل بن جعفر عن العلاء وعنه أيضا قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم [لما خلق ا الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي] وعنه أيضا قال : سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول : [جعل ا الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا وأنزل في الأرض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه] رواه مسلم ـ آخر تفسير سورة الأنعام و الحمد والمنة